مجلة أبوليوس
المجلد 08 العدد 02– جويلية 2021
الصفحات: 100- 114

من أجل لغة خضراء -محاولة في فهم أدب البيئة ونقده

For a Green Language - An Endeavor to Comprehend Green Literature and criticism

د. خميسي آدامي*
جامعة عبّاس لغرور- خنشلة/ الجزائر
adamikhemissi@univ-khenchela.dz

تاريخ الاستلام:2021/05/23 تاريخ القبول:2021/06/30 تاريخ النشر:2021/08/31

ملخص البحث:

تتغيا هذه الدراسة مقاربة مجال إبداعي جديد، يشق طريقه بصعوبة وسط سرديات ضاجة، تتقاذف تاريخ الإنسان المعاصر، هو "أدب البيئة ونقده"، دراسة تتهجس بسؤال تقديم هذا الأدب وتعريفه، عبر مسلك المعاينة والفهم. بما يتيح وضع هذا الأدب، لا ضمن الأدب العام، بل ضمن حركية الفكر الإنساني المعاصر والمنفتح، الذي لم يعد معنيا بحدود التخصص القار.

فأدب البيئة في أقصى تمظهراته، هو تعبير عن قلق كوني، يهز الإنسان المتمركز على ذاته، ويفتح وعيه على ضرورة تفهم وعي مشاركة هذا الكون مع غيره من الكائنات والموجودات.

وقد خلصت الدراسة إلى أن أدب البيئة ونقده، هما حقلان قيد التشكل والتكون، وينخرطان ضمن اهتمامات الدراسات الثقافية ، ومن ثم فهما آخذان في صناعة أسلوبيتهما وشعريتهما الخاصة، ويصدران، أساسا، من وعي إيكولوجي، يبتغي تحقيق أو استعادة فعل التوازن بين الإنسان ومحيطه.

الكلمات المفتاحية:
أدب البيئة؛ النقد البيئي؛ الوعي الإيكولوجي، الطبيعة، التمثيل الفني.

Abstract:

The present study endeavors to approach green literature and criticism as a novel aesthetic and creative field that tries to anchor laboriously through diverse narratives. The study thinks over this type of literature and determines a comprehensive definition through observation paths and recognition in the context of contemporary human intellectual trends that rethink the rigid boundaries of subjects.

Furthermore, green literature in its extreme manifestations conveys a universal anxiety that prompts humans to embrace the necessity of sharing this vast universe with other creatures and species.

The study concludes that green literature and criticism continuum are under process that try to shape their aestheticism, traditions, and stylistics from the outlets of ecosophy and ecological awareness, and holistically aims at restoring the steadiness between humans and nature.

Keywords: Green literature; Ecological awareness; Nature; Aesthetic depiction.

* المؤلف المراسل

مقدمة:

يَتداخَلُ في إيقاعات شديدة الصخب، متسارعة التغير، عالمُ اللحظة الكونية الراهنة، وتتقلص المسافة بين البداية والنهاية، بل وتنقلب المشاريع والمفاهيم والنظريات والمناهج وأنساق الحياة المختلفة على بعضها البعض. وقد يحتد فعل الانقلاب ليكون ذاتيا داخليا، فتنقلب هذه على نفسها في صورة مراجعات وتجاوزات وتعديلات، أو في صورة قطائع وانكسارات.

غير أن السمة الأساسية التي تطبع هذا الإيقاع الصاخب والمتغير، الذي قد ينتقل من أقصى النقيض إلى أقصى النقيض، أن حقول المعرفة المختلفة لم تعد –كما في أزمنة سابقة قريبة- جزرا منعزلة، ولا مناطق معرفية مسيجة ومتماسكة الحدود، بحيث يحافظ كل مجال أو حقل معرفي على أحاديته Unidisciplinarite، أو قل على شخصيته المتميزة، نظرية ومنهجا ومصطلحا وإجراء. بل حتى على ادعاءاته أو وعوده بأنه يستطيع أن يمسك بالحقيقة، ويستحوذ على المعنى.

إن حواريةً شديدة التنوع، قد تنقلب أحيانا إلى تدابر وتدافع، لَتقوم بين حقول المعرفة ومجالات النشاط الإنساني، مُعلنة بصورة، قد تكون نهائية، سقوطَ الجدران والأسوار بينها جميعا. بل إن هذا التداخل قد تحول في اللحظة الراهنة إلى أداة تحليلية ومدخلا مهما من مداخل فهم الظواهر الإنسانية والطبيعية. بل إن هذا التداخل كما تُنَظر له كثير من الدراسات، إنما هو تجل بارز من تجليات ما يسمى بـ : "أخلاقية العلم" Ethique de la science "، التي تمثل بدورها الرد المعرفي على صرامة الثورات العلمية، ونماذجها الإرشادية الصارمة. ولذلك يتحدث الدارسون الآن عن جملة من العلاقات التي تربط بين هذه الحقول والتخصصات، فمنها تخصصات متشابكة multidisciplinaire، وتخصصات متعددة أو متداخلة Interdisciplinaire، وتخصصات متعاونة أو معتمدة على بعضها البعض Crossdisciplinaire، وتخصصات عابرة Transdisciplinaire.[1]

لقد كان التخصص، ولا يزال، حاجة معرفية وعلمية ملحة، لأنه يتيح القدرة على استكناه الظاهرة بمبضع مفرد، فلا تتوزع دراستها وتشريحها على طاولات مختلفة، لكن أخطر ما يهدد التخصص أنه لا يعزل الباحثين " لا عن عامة البشر فحسب، وإنما أيضا عن النتائج التي يخلص إليها غيرهم من العاملين في سائر الميادين، بل وفي أجزاء أخرى من ميدانهم هم."[2]

وربما كانت "البيئة" من أشد الموضوعات استقطابا لهذا التنوع والتعدد والتداخل المعرفي "فتاريخ البيئة ميدان جامع للتخصصات حقا."[3] إنه ميدان يتموضع في خطوط التماس بين حقول وتخصصات متعددة، وقد تمخض الدرس الأكاديمي الحديث "عن واحد من أقدم التحالفات بين التخصصات"[4]، فهو موضوع التاريخ والجغرافيا وعلوم الأرض والعلوم البيولوجية والطبية."[5] ويمكن أن نضيف : والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان والفن والأدب والدراسات الثقافية.

قد تبدو علاقة الفن والأدب والنقد بالبيئة علاقة غريبة نسبيا، لأننا تعودنا، أو عودتنا تصنيفات وتقسيمات التخصص الصارمة أن لا نمد بأعيننا خارج جغرافيتها. لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك.

لقد نشأ الفن في حضن الطبيعة، منها انطلقت تجربة الفن الأولى عند الإنسان البدائي، بحجارتها وعلى جدران كهوفها فكر وأحس ورسم. وكان مسرحُها الواسعُ البيتَ الأولَ له، في حالة التحام صوفية ظلت تداعب خيال المعاصرين، الذين أدمتهم

الثقافة فراحوا يستعيدون فردوسَهم المفقود. وتلقف الرومانسيون الحالمون الفكرةَ نفسَها، ورأوا في العودة إلى الطبيعة، عودة إلى الرحم والبراءة والجمال ولحظة البدء الأولى.

وفي الشرق كما في الغرب ظلت الطبيعة معادلا لمفاهيم الوحي والإلهام والطهر والجمال الهادئ حينا، والمتوحش حينا آخر. وقبل ذلك كانت آلهة الصحراء وكائناتها الروحية[6]، تملأ على الشاعر الجاهلي عالمه، فكانت الحياة كما الموت يتفجران في كل شيء يقع تحت بصره.[7] واستمرت الطبيعة بعناصرها المرئية وغير المرئية، تمارس حضورها وتأثيرها في إبداعات الشعوب والأمم: في منمنماتها ونقوشها، ولوحاتها ورسومها، ونصوصها شعرا ونثرا.

وفي النقد كانت الطبيعة، ومعطيات البيئة، مدخلا لفهم وتفسير كثير من الظواهر الأدبية والفنية، ولعل أقرب نماذج ذلك ما وجدناه في التصور النقدي عند "هيبوليت تين H. Taine"، والذي كانت البيئة إحدى مرتكزاته.

حدث ذلك قبل أن ينشغل الأدب موضوعاتيا، بموضوعات تبدو شبه مستقلة الآن، كأدب البحر وأدب الصحراء...

ولكن، هل يمكن لهذا التاريخ الطويل من التفاعل والتراسل والاستلهام القائم بين الفن والطبيعة وعناصر البيئة المختلفة، أن يمنحنا سلطة القول والتسليم بمجال خاص في الأدب، هو " أدب البيئة"؟ وبكلمة أخرى: هل يمثل كل أدب اتصل بالطبيعة وارتبط بعناصر البيئة، واستحضر مظاهرها وظواهرها " أدب بيئة " بالضرورة؟

الصفحات القادمة من هذه الدراسة محاولة لإجابة هذا السؤال.

1- أدب البيئة: نحو ضبط المفهوم

قد يكون هذا العنوان واعدا أكثر مما يجب، مما لا تستطيع هذه الصفحات الوفاء به، وربما كانت عملية البحث في جذرية المصطلحات أجرأ المداخل للاقتراب.

وإذا كان مصطلح " الأدب" هو مما تناولته المعاجم والقواميس في مستواه اللغوي والاشتقاقي، وعالجته كتب النقد والفلسفة ونظرية الأدب في مستواه المفهومي الماهوي، وأن هذه المعالجات جميعا قد غدت شائعة ومتداولة في مظانها، وأن العودة إليها هي مما يثقل الدراسة، فإن المصطلح الثاني "البيئة"، أحرى بالنظر والمعاودة.

1-1- البيئة في الدلالة اللغوية:

تعود جذور كلمة "البيئة" إلى الفعل "بوأ"، ومنه باء، يبوء، بوءا، فيقال: باء إلى الشيء : رجع.

ومنه أيضا: الباء والباءة اللتان تعنيان النكاح، وسمي كذلك لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره. والأصل في الباءة: المنزل، وباء بالذنب، التزم ورجع وأقر.[8] ومباءة الإبل : معطنها ومكان إناختها، والمباءة من الرحم؛ حيث تبوأ الولد.[9]

ووفق ما أقره معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، فإن أول نص وردت فيه كلمة "البيئة" بهذه الصيغة، هو بيت الشاعر طرفة بن العبد الذي يقول:

ضللت بذي الأرطى فويق مثقب
ببيئة سوء هالكا أو كهالك [10]

ويتضح مما تقدم أن الصلة التي تعقد بين المعنى اللغوي لمفردة "البيئة" ودلالاتها الاصطلاحية إنما تتأسس على أن جميع المعاني القاموسية تشير إلى أن مفردة "البيئة" تحيل على المكان والمحيط والوسط: منزلا عند الإنسان، وموطن الإناخة والتجمع عند الحيوان(الإبل) ومكان وموضع استقرار الجنين

(الولد) من الرحم. غير أن المعاني القاموسية تشير أيضا إلى معاني الرجوع والعودة والالتزام، مما يعني حتمية العودة إلى المنزل كضرورة حياتية وعمرانية، تماما كما تعد "البيئة"، وسطا حيويا للكائن، فيه تستمر حياته، وتكتمل دورتها.

1-2- في الاصطلاح:

قد يكون من العسير ضبط مفهوم واحد أو مشترك لمصطلح البيئة، ذلك، أن مفهومه يتعدد بتعدد الميادين العلمية والمعرفية التي تقاربه. * غير أن المتوافر والمتواتر من هذه التعريفات لا يكف عن الإحالة على أن "البيئة" هي الوسط العام الذي تعيش فيه الكائنات حية كانت أو غير حية، في تفاعل مستمر، تنشأ عنه في الغالب علاقات معقدة ومركبة، تؤثر سلبا أو إيجابا في نمط حياة هذه الكائنات ووجودها وتطورها واستمرارها.

وقد استخلص العلماء المشاركون في أول مؤتمر عقد تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة، في "استكهولم " السويدية، عام 1972، والذي أكد الطابع العالمي لمشكلات البيئة، تعريفا يقول إن البيئة هي " ذلك الرصيد من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته."[11]

وهو تعريف يضع الإنسان دون غيره، في قلب المعادلة البيئية، بينما يتوسع القاموس العام للبيئة، ليعطي للكائنات الحية جميعا موقعا داخل البيئة كعناصر مكونة، حين يقول إنها: " الوسط الفيزياوي والكيمياوي والبيولوجي الذي يحيط بالكائن الحي."[12]

وتذهب أغلب الدراسات المهتمة بالبيئة وعلمها وأنظمتها إلى التأكيد بأن الإنسان يعيش داخل ثلاث منظومات حياتية وبيئية هي:

1- المحيط الحي أو الأحيائي والذي يشمل الجو واليابسة والمياه وما يعيش فيها.

2- المحيط التقني المشيد من قبل الإنسان، والذي يشمل كل ما بناه من منجزات.

3- المحيط الاجتماعي والذي يتسع لما هو ثقافي وديني وقانوني وأعراف وتقاليد وتشريعات.[13]

وليس خفيا أن هذه التصنيفات إنما تصدر في خلفيتها العميقة من الثنائية المعروفة: الطبيعة والثقافة.

ولعل المتأمل في هذه التعريفات وأخرى غيرها كثيرة، يمكن أن يلحظ قيامها على جملة من الكلمات المفتاحية. فالحياة، والحيوية والكائنات، والتفاعل، والإنساني، والطبيعي، هي مما يشكل معجم أغلب المنظرين للبيئة وقضاياها، وهي نفسها التعريفات التي تنم عن رغبة أصحابها – أفرادا أو هيئات ومؤسسات- في الإيحاء بأن البيئة هي المنزل الأكبر للإنسان –رغم أن نزوع التعريفات عموما إلى الانضباط الاصطلاحي قد يعوقها عن إعلان ذلك صراحة- وأن حياة الكون والكائنات مرتبطة في جميع أبعادها بالبيئة، وأن العلاقات التفاعلية بين مكوناتها مرهونة في بقائها واستمرارها بالتوازن الذي يحفظ لكل مكون مجال الحياة والنمو والتجدد.

ولكن أين "أدب البيئة" وجودا وحضورا من كل ذلك؟ وهل عرفت الثقافات الإنسانية قديمها وحديثها ما يمكن أن نسميه بهذا التحديد "أدب البيئة"؟ وكيف يتداخل الفن والأدب وهما النشاطان اللذان ينهضان على فاعليات التخييل والتجاوز وتخطي الواقع، بل ومجافاة اليومي والمكرور مع البيئة بمفرداتها وأسئلتها وظواهرها، وهي التي كانت على الدوام موضوع علم لا موضوع فن وأدب؟ وهل نتحدث، أخيرا، عن أدب استقرت له أسلوبيته وشعريته بحيث يشكل فعلا مجالا نوعيا داخل الأدب العام، إذا جاز هذا الوصف؟ أم إننا نتحدث في

الواقع عن أدب هو قيد التشكل، وبالتالي عن نقد بيئي هو أيضا قيد التنظير؟

تبدو هذه الأسئلة تعبيرا عن طموح معرفي أكثر مما تبدو شواغل يمكن لدراسة مفردة كهذه أن تجيبها. ذلك أننا نتحرك فعلا داخل نسق من الأفكار والرؤى والمفاهيم ومحاولات الاقتراب متماوجة، رجراجة، وغير مستقرة. وأغلب الظن أن ذلك يعود إلى غاية اللحظة إلى أمرين:

- الأول منهما: غياب تعريف أو مفهوم نهائي لأدب البيئة، فعدا التعميمات التي تشير إلى أن أدب البيئة هو جملة المعالجات الفنية للعالم والمحيط الطبيعي، ليس هناك ما يدفع بالخطوة إلى الأمام في سبيل ضبط دقيق لمفهوم هذا الأدب وخصائصه الخطابية النوعية.

- أما الأمر الثاني فهو حداثة الاهتمام النقدي – وهو الاهتمام الذي سيأخذ اسم "النقد البيئي"- بأدب البيئة، أو ما يمثله ويجليه من الآداب القائمة. فالدراسات المهتمة بهذا المجال تشير إلى أن أول من أطلق مصطلح " النقد البيئي" هو " وليام روكرت William Rueckert" عام 1978، في مقالة له نشرت بـ : " lawa review" تحت عنوان: " الأدب وعلم البيئة : تجربة في النقد البيئي".[14] وكان يجب انتظار عشر سنوات بعد ذلك حتى يأتي "جلين لوف Glen A.Love" ليدعو في خطاب له إلى " نقد أدبي بيئي"، أمام الجمعية الأمريكية الغربية للأدب، لينشر هذا الخطاب في دورية "Western American Literature" عاما بعد ذلك، وكانت دعوته هذه حافزا لمجموعة من الباحثين الشباب الذين التقاهم عام 1999، لتأسيس جمعية لدراسة الأدب والبيئة.[15]

وفي مدة لا تتجاوز العشر سنوات، تزايد عدد أعضاء هذه الجمعية ليصل إلى 1000 عضو، ينتمون إلى عشرين دولة[16]، وقد تركزت جهودهم على " تعزيز الأفكار المتبادلة وترقيتها، وكذلك المعلومات المتعلقة بالأدب والأبحاث البيئية ذات الطبيعة البينية، التي تأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين الكائن الإنساني والعالم الطبيعي من حوله.[17]

2- أدب البيئة ونقده: أي مفهوم؟

ارتباط الفن والأدب بالبيئة وبالعالم الطبيعي الذي يحيط بالإنسان، أفرادا وجماعات، حقيقة أو مسلمة لا يتخللها الشك، بصرف النظر عن ماهية البيئة التي نتحدث عنها؛ طبيعية كانت أو اجتماعية. وإن ظلت الأسئلة ملحة حول طبيعة هذا الارتباط وعمقه ودرجته وحدوده.

لكن السؤال الذي يشغل الباحث هو: هل كل ما كتب ويكتبه الشعراء والأدباء والمبدعون عن الطبيعة، وعن مظاهرها وعناصرها، وعن مفردات البيئة، هو "أدب بيئة" بالضرورة؟

الإجابة عن هذا السؤال بالنفي مزلق، وبالإيجاب مزلق أيضا، خاصة أمام ندرة أو غياب الدراسات المهتمة، التي يمكن أن تعضد موقف الباحث في كلا الاتجاهين.

وفي انتظار أن تراكم لهذا الأدب مدوناته، وأن يؤسس لنفسه خطابا إبداعيا ونقديا، وأن تتفصح لغاته في الآداب العالمية، وفي الأدب العربي المعاصر تحديدا، بما ييسر الانطلاق من أرضية معرفية أكثر تماسكا، يمكن ترجيح الإجابة بالنفي عن السؤال السابق، ذلك أن الباحث في تصور هذه الدراسة، يجب أن يقيم فرقا بين موقفين في تعامل الأدباء والشعراء مع البيئة في جميع ما كتبوا ويكتبون.

- أما الأول فهو الذي يرتكز على الإيمان بأن جملة النصوص الإبداعية المتوزعة في الآداب الإنسانية المختلفة، قديمها وحديثها، والتي كانت الطبيعة

بموجوداتها المختلفة: الحية والجامدة، والصائتة والصامتة، عنصرا بنيويا وتكوينيا في بنيتها الموضوعاتية، وكانت معطيات البيئة وكائناتها عناصر مهيمنة في بناء خطابها وصياغة رسالتها، لا يقوم كل ذلك حجة لإدراجها أو الانخراط بها فيما يسمى "أدب البيئة".

فالارتباط الحميم الحاصل بين الفن والأدب وبين البيئة، هو ارتباط عضوي يكاد يرقى إلى مرتبة " الغريزة الأدبية".فالإنسان مغمور بالطبيعة، موصول بأوثق الصلات إلى أمكنتها وأزمنتها، مشدود بقوة الطبيعة إلى الطبيعة نفسها، ومعطيات البيئة هي مما يحاصره أنى ولى وجهه. ومن ثم فإن كل النصوص الإبداعية التي تستبطن هذه العلاقة، وتؤشر لهذا الارتباط، إنما تصدر في الواقع من هذه الحتمية، حتى وإن آمنا بأن الإبداع عموما هو نشاط فائق التميز، يأتي دائما ناهضا على الانفلات والتجاوز والتفكير بالأشياء بطريقة أخرى، وأنه يرتقي على واقعيتها وموضوعيتها المبذولة.

إن هذه النصوص والإبداعات لا تتوجه إلى البيئة اختيارا، ولكنها تتجه إليها لأنها لا يمكن أن تفعل إلا ذلك، عن وعي أو عن غيره. فالأمكنة باختلافها، وهي من تضاريس البيئة وجغرافيتها، كما هي أيضا من العناصر الشكلية والتشكيلية في الأعمال الفنية[18] هي جزء من تكوين هوية الكيان الجماعي، **19** وجزء أصيل من التكوين النفسي والثقافي للإنسان، بل إن أثر هذه العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية للشعوب، هو أثر بين وعميق.[20]

كل ذلك لا يكاد يخفى على أحد الآن، ولذلك فالأعمال الفنية التي تستحضر الأمكنة انطلاقا من الشعور بأثرها النفسي والجمالي، لا يعني بالضرورة أنها تتحدث عن البيئة بالوعي الإيكولوجي الذي تتصور هذه الدراسة أن توافره هو أول شروط الانتماء إلى أدب البيئة.

لقد قالت كل الأمكنة كلمتها عبر الأدب، على حد تعبير إبراهيم الكوني،[21] الروائي الذي فقد جنته في الصحراء،[22]

لكن احتفال الأدب بهذه الأمكنة لا يمنحه بالضرورة – مرة أخرى- سلطة/ حق الانتماء إلى " أدب البيئة".

لقد كان "جلجامش" في الملحمة المعروفة باسمه، والتي يفصلنا عن نسختها الأخيرة، التي اكتملت في العصر الآشوري الحديث، أكثر من ألفين وخمسمائة عام، مهووسا بالبحث عن عشبة الخلود، "وهو الذي رأى كل شيء/ في تخوم البلاد[23]/ و" عرف البحار وأحاط علما بكل شيء."[24]

ونحن لا نستطيع أن نتأول وعي هذه الأسطورة بأن الحياة الدائمة والخلود السرمدي، إنما هما مرتبطان بالطبيعة وعشبة بيئتها، إلا على نحو غامض، ففضلا عن الطابع الميتافيزيقي للأسطورة، فإن ما كان يؤرق جلجامش هو سؤال الموت، وكيفية تجاوزه أو التغلب عليه، وليس بالضرورة ما يحقق الخلود، الذي تصادف أن كان " عشبة" كما تحدثنا الأسطورة نفسها.

وإذا أردنا أن نحسن الظن، فنمنح لهذه الأسطورة وعيا بيئيا تكون قد أدركته الحضارات القديمة، وإن بشكل غامض، فيمكن أن نقول إن هذا الوعي إنما يتبدى في أن الطبيعة من حولنا، وأن البيئة التي نتحرك داخل منظوماتها، مرشحة دائما أن تقدم لنا الحياة، وأن تمنحنا فرصة النجاة من الكارثة، وأن تكون علاجا لكثير من أمراضنا. لكن هذا الوعي لا يقوم – مرة أخرى- حجة على الانخراط بهذه الأسطورة في "أدب البيئة".

"نحن كائنات تبحث عن المعنى."[25] ، ولذلك كانت الأسطورة محاولة لتجاوز حالة الفراغ والعمى والعبثية، ولأن عالم الأسطورة لا انفصال فيه بين عناصر الكون، مهما كان نوعها، فقد كانت البيئة حاضرة فيها. لكنه حضور لا يدل- ضرورة- على وعي إيكولوجي يهدف إلى المحافظة عليها أو صيانتها، بدليل أن بعض القصص الأسطورية تحدثنا عن آلهة تحرق الغابات، وتدمر الحقول الزراعية، وترسل البروق والصواعق الحارقة، والفيضانات والطوافين العظيمة.

وليس بعيدا عن موطن نشأة ملحمة جلجامش، كان الشاعر العربي القديم في صحراء شبه الجزيرة العربية، شاعرا جوالا، ينتمي إلى ثقافة تأسست أكثرُ أنساقها على العلاقة التي تقوم بين الكائن والمحيط الممتد أمامه، ثقافة ورثت تراكمات موغلة في القدم، تشكلت كثير من قصصها وحكاياتها وأساطيرها وأشعارها في ظل التغيرات المناخية الكبرى التي عرفتها المنطقة. فالجيولوجيون يتحدثون عن أن الجزيرة العربية تكون قد عرفت منذ أربعين ألف سنة قبل الميلاد دورة جليدية، أعقبتها الدورة الدفيئة الثالثة منذ 18 ألف سنة قبل الميلاد.[26] إذ في الوقت الذي كانت فيه أوروبا مغمورة بالثلج والجليد، كانت منطقة شبه الجزيرة، تنعم بالأنهار والأشجار ومختلف الزروع،[27] حدث ذلك قبل أن تأتي التقلبات المناخية الكبرى لتعكس الأمر،"في اصطفاء طبيعي لا ضوابط له"[28]، وتتحول الجنات الخضراء إلى صحراء مغبار، وكان طبيعيا أن يتشكل وعي ثقافي جماعي متأثر بهذه التغيرات البيئية الحاسمة، وربما كانت نغمة الشجن التي نلمسها في الشعر الجاهلي تحديدا، وكانت أحاديث الشعراء عن البروق والرعود والسيول، هي بعض تجليات ذلك كله.

الطلل كإحداثية مكانية، والفرس والجمل والناقة والظبية والحمار والثور الوحشيان، ككائنات لقد كان تملأ بيئة العربي الحيوانية، وكانت النخلة والعرفج والرمث والعوسج والحنظل والعشرق والخزامى والبان والأراك والسواك والكمأة ...كمكونات أساسية في الغطاء النباتي، وموجودات بيئية كثيرة، حاضرة حضورا لافتا في المتن الشعري العربي القديم.

فهل يقوم ذلك كله – مرة أخرى- حجة على أن الشاعر الجاهلي كان يصدر عن وعي بالبيئة، يتجاوز مجرد التفاعل المباشر، والحاجة النفعية الآنية، بل ويتجاوز حتى الانفعال النفسي والجمالي، الذي هو جوهر الشعر والفن؟

وفي جغرافيات أخرى من العالم، وفي لغاته وحضاراته القديمة خاصة، يتحدث الدارسون عن أنواع شعرية متصلة بالبيئة اتصالا وثيقا، منها الشعر الرعوي الذي تَهجَّسَ بالأمكنة، وانشدَ إلى عالم البراءة الريفية الأولى، حيث الرعي والحب والشعر والموسيقى والأناشيد، وهي الرعويات التي حاولت العثور على " الحلقة المفقودة بين الطبيعة وروح الإنسان."[29] وصاغت ماضيا متخيلا[30]، تحن إليه، وربما كانت بعض قصائد الشابي في ديوانه "أغاني الحياة"، وفي بعض "جيكوريات"،السياب*، وقصائد "أغاني الكوخ" لمحمود حسن إسماعيل، نماذج دالة في الشعر العربي الحديث على هذه الرعويات. وإن ظل بعض الشعر الفلسطيني كما يتمثل ذلك في نصوص محمود درويش المبكرة وسميح القاسم وعز الدين المناصرة أكثر الأمثلة نضوجا لهذه الرعويات.

فهل يمكن القول – مرة أخرى- بأن هذه الإبداعات جميعها، هي مما ينتمي إلى "أدب البيئة"؟

قبل أن تحاول الدراسة القائمة إجابة السؤال، من المهم أن نشير إلى أن جملة كبيرة من الموتيفات الرعوية، يكون شعراء الرومانسية قد تلقفوها وانطلقوا منها في بناء صروحهم الشعرية والأدبية عن الطبيعة. وهي التي كانت بالنسبة لهم معادلا انطولوجيا للأم والحلم والجمال والخير والحق والعدل. وقد كان " بايرون الشاعر Byron"، قد أعلنها صراحة حين قال: " ليس حبي للإنسان قليلا، ولكن حبي للطبيعة أكبر."[31]

إن المدونات الإبداعية الحافلة بالطبيعة، المتهجسة بأسئلة البيئة وعناصرها، لا يكاد يحيط بها عد، وهي متوزعة في الآداب والحضارات الإنسانية المختلفة. فهل يسعفنا هذا الحضور الكمي والنوعي في أن ندرجها ضمن "أدب البيئة"؟

إلى هنا يمكن الحديث عن الموقف الثاني، وهو الموقف الذي ترى فيه الدراسة أن " أدب البيئة"، هو مفهوم حديث، ومجال من الاهتمام المعرفي والإبداعي، يتجاوز العلاقة الطبيعية التي نشأت بين الإنسان وبين محيطه، إذ تبدو هذه العلاقة معطاة أكثر مما هي مبنية.

إن "أدب البيئة" هو نشاط إبداعي مفكر فيه، وبناء فني، تحركه مقصديات إيكولوجية وفنية وفلسفية، وتدفعه نوازع الخوف من اختلال العلاقات بين الكائنات وبيئتها، ومن ثم فهو مشاركة إبداعية تهدف إلى التأسيس لوعي بيئي جديد يكف فيه البشر عن تخريب شروط الحياة، ويعاد فيه النظر في أساليبهم في التعامل مع الكائنات التي تقاسمهم الوجود على ظهر الكوكب، ومن ثم التخفف من المركزية التي ظل الإنسان يحتكرها لنفسه، والسعي إلى إعادة الاعتبار لحالة التواؤم والانسجام التي تحققت بين الإنسان والبيئة في طفولة البشرية الأولى، والتنبيه إلى المآلات المرعبة التي قد تنتهي إليها الحياة في حالة الاعتداء على البيئة ومنظوماتها.

بهذا المعنى يمكن أن يفهم أدب البيئة، وبهذا المعنى يمكن أن يفهم أيضا أنه أدب مواجهة وتعرية لذلك النهم البشري المسعور الذي فتح جوفه ليبتلع كل شيء، وأسس علاقة مشوهة مع طبيعته وبيئته، قائمة على الإخضاع والإذلال والسيطرة، بدل التفهم والاحترام والحوار. ومن ثم فهو تيارٌ في الأدب جديدٌ، نشأ في سياقات جديدة، سياقات الحروب الرعناء، والتكنولوجيات المدمرة، والتعديلات الجينية الماسخة، والهندسة الوراثية الشائهة، وصراعات المخابر والشركات التجارية التي ترش سمومها في جميع الاتجاهات.

غير أن "أدب البيئة"، بهذا المعنى أيضا لا يجب أن يتحول إلى مناشير حقوقية، أو تقارير علمية، وأن مجرد ارتباطه بالبيئة لا يغير من هويته باعتباره فنا، يتأسس على أسلوبية أو شعرية خاصة، تظل تصله دائما بالإبداع، حتى لا يفقدَ خطابُه القدرةَ على التأثير الفني والجمالي.

3- الخلفيات المعرفية والفلسفية لأدب البيئة:

أشارت فقرات سابقة من هذه الدراسة إلى أن "أدب البيئة"، هو كتابة قيد التشكل، ويبدو أنها ستظل بحاجة إلى المزيد من الوقت كي تتبلور لها رؤيتها الخاصة والنوعية، فيما يتصل بمكوناتها الموضوعاتية والأسلوبية التشكيلية في الآداب الإنسانية المختلفة.

كما أشارت الفقرات نفسها إلى أن" النقد البيئي"، هو أيضا كتابة أخرى، ثانية، قيد التنظير، وأنه سيظل بحاجة إلى مزيد من الوقت كي يؤسس لمقترحاته ومداخله ويطور أدواته وإجراءاته، ويسيج

نفسه برؤية معرفية، تضعه على صعيد واحد مع النقود الأخرى المختلفة.

وإذا كان من نتيجة تستخلص من هذه الإشارات، هنا، فهي أن الحديث عن المرجعيات والخلفيات المعرفية والفلسفية الثاوية وراء ظهور "أدب البيئة"، إنما هو حديث تحكمه النسبية، وتعتوره الاحتمالية، ذلك أن هذه الخلفيات نفسها هي قيد التفاعل والتشابك، فالعالم "يتدحرج" فيما يتصل بالبيئة وقضاياها في متاهات ربيع صامت***، حيث قرقعة الانهيار، وحيث "لا طيور تغني" ومن ثم فهذه المرجعيات هي الآن آخذة في التكون ، خاصة إذا أدركنا أن الأبعاد الفلسفية فيها تتشابك بصورة معقدة مع مشكلات الحداثة وما بعد الحداثة، ومع قضايا متوترة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلم ، لا يبدو أن الحسم فيها سيكون قريبا.

وستسعى الصفحات القادمة إلى محاولة ضبط أهم هذه الخلفيات.

يقف في مقدمة هذه الخلفيات ما شهده العالم منذ العقود الأخيرة من القرن العشرين، مما يمكن تسميته بـ: "الصحوة الخضراء". فقد نشطت حركة عالمية واسعة، ترفع شعارات المحافظة على البيئة، وهي الحركة التي كانت أهم مُخرجاتها ماثلة، في مستواها السياسي، في نشأة وظهور أحزاب سياسية، تدعى عموما بالأحزاب الخضراء****، وهي أحزاب بدأت دائرة تأسيسها في الاتساع في أقطار العالم المختلفة: الصناعية والنامية على حد سواء. وتجلت في مستواها الأدبي والفلسفي في عودة الكُتاب والأدباء والفلاسفة إلى مدونات الحضارات القديمة، وإلى إبداعاتها وفنونها وأساطيرها في محاولة لتجلية موقف الإنسان القديم من الطبيعة، والذي كان يقوم على كثير من التناغم وعلى أخلاقية تحترم التوازن القائم بين الكائنات في البيئة الواحدة، وهي العودة الفلسفية التي تمثل في بعد من أبعادها ردة فعل على تغول العلم ونزوعه نحو ترسيخ علاقات القوة والسلطة والسيطرة على الطبيعة.

كما كان من مُخرجات هذه " الصحوة الخضراء"، بل من أسبابها في اللحظة نفسها، اتساع دائرة الدراسات الثقافية، كتجل من تجليات الفتوحات النقدية المعاصرة، وانفتاحها على ميادين ومجالات إنسانية مختلفة ومتباينة، إذ أصبحت قضايا من مثل " وسائل الإعلام" و"الثقافة الشعبية" و"الثقافة الدنيا" و"المسائل الإيديولوجية" و"الجنوسة" و"الحياة اليومية"و"الحركات الاجتماعية "[32] ، و"الطبقة" و" العرق" و"مفهوم التابع" و "البيئة".. من أهم المسائل التي أخذت الدراسات الثقافية على عاتقها مهمة تفكيك خطاباتها، وتعرية منطوقاتها ومسكوتاتها.

لقد لفتت الدراسات الثقافية النظر إلى سؤال البيئة، انطلاقا من وعيها بأن سلوك البشر في تعاملهم مع البيئة: سلبا وإيجابا، إنما هو سلوك ثقافي بالدرجة الأولى، تسيجه خطابات كثيرة، هي في حاجة دائمة إلى تفكيك وإعادة نظر وقراءة.

لقد آمنت وأكدت كل هذه المخرجات: "الأحزاب الخضراء" ودعوات الفلاسفة والأدباء ورواد الدراسات الثقافية، فيما يتصل بسؤال البيئة، بأن النظم الإيكولوجية الطبيعية قد تحولت بفعل شراهة الإنسان إلى نظم مؤنسنة[33]، أي نظم يسيطر فيها الإنسان على كل شيء، ويمارس غزوه- بلا رادع أخلاقي- لعوالم هي ملك لغيره من الكائنات، مسلحا بخطاب علمي بارد وقاس، مزهوا بأسطورة شرعية العلم في امتلاك المعنى وإدراك الحقيقة: الحقيقة العارية والصلبة التي مجدها فلاسفة العلم ومريدوه، ومنهم "فرنسيس بيكون "Francis bacon" الذي كان يقول" ليس علينا أن نتخيل أو نفترض، لكن علينا

أن نكتشف ما الذي تصنعه الطبيعة أو ما الذي هي مؤهلة لصنعه."[34]

لقد أسهمت كل هذه الحركات والدعوات السياسية والأدبية والفلسفية والثقافية في تشكيل ما يمكن تسميته بـ : " فلسفة إيكولوجية"، -Eco philosophy، تحولت – منذ أواخر القرن العشرين وهي مستمرة إلى الآن- إلى دافعية معرفية تتولد عنها يوميا العشرات من المجلات والدوريات الأكاديمية المتخصصة والندوات والمؤتمرات.

ومن الطريف أن هذه الفلسفة الإيكولوجية- مثلما تذهب إلى ذلك كثير من الدراسات المهتمة، إنما تدين في كثير من أفكارها وتصوراتها إلى الرومانسية وإلى إرثها الشعري والأدبي الحافل بالاهتمام بالطبيعة. وهذه هي الخلفية الثانية التي تريد الفقرات القادمة بيانها.

لم يكن ظهور الرومانسية تيارا أدبيا، أو رؤية فلسفية وفنية للعالم وأشيائه في القرن الثامن عشر في أوروبا، وتكامل بناءاتها وخصائصها النوعية بعد ذلك في القرن التاسع عشر، إلا استجابة لتغيرات عميقة وتحولات جذرية، بدأت بشائرها وعلاماتها مع أدبيات الثورتين الفرنسية والصناعية، ومع كتابات المفكرين والفلاسفة الغربيين، ومع سحر الشرق الذي كان الرحالة والمستكشفون الأوروبيون يلفتون النظر إلى روحانيته وسحره وجماله، إلى جانب عوامل أخرى كثيرة، مبذولة في البحوث والدراسات المهتمة بهذا المذهب.

لقد " تكونت الرومانسية وحنينها إلى الماضي في فترة شهدت تناميا سريعا في وتيرة التحديث في كل مجالات المجتمع[35] وكانت عملية التحديث هذه آخذة في تغيير طبيعة الأشياء، والقضاء على صورتها النقية، بل تشويه العلاقة التي كانت تقوم في أزمنة البراءة الأولى بين الإنسان والطبيعة، ولذلك كان نزوع الرومانسيين إلى الطبيعة هو ردة فعل على حداثة تنكرت لبركة الأم/ الطبيعة، كما كانوا يتصورنها.

إن الطبيعة – كما فهمها جميع رواد الرومانسية- كانت "كلمة السر المميزة والمعبرة عن الماضي المفقود، وكل ما يمكن أن يجسده، لقد كانت كفيلة بخلق عالم سحري من الأمن والحماية تحكمه سلطة الخير."[36] إنها " رمز لطفولة ثقافية."[37]

ولقد حاولت جهود المهتمين بالبيئة، التأسيس لفلسفة إيكولوجية تتكئ على أدبيات الرومانسية هذه، معتبرة بأن الإرث الرومانسي يمثل بالنسبة إليها نوستالجيا جاذبة، تماما مثلما كانت عوالم البدائية والفطرة الأولى نوستالجيا جاذبة بالنسبة للرومانسيين.

أما ثالث هذه الخلفيات؛ فهي تلك التي تتموضع في سياق السجالات وجدل القطائع بين الحداثة وما بعد الحداثة، والتي كان من نتائجها هذا الإعراض المحموم عن الإرث الفكري والفلسفي، والسعي الما بعد حداثي، ليس فقط إلى تفكيكه، وتحطيم مركزيته، بل وتجاوزه أيضا.

إن الفكر الما بعد حداثي يصر على إفقاد الفكر الحداثي ذاكرته الثقافية.

لقد كرس الفكر الحداثي على مدار أزمنته التنويرية، جملة من المقولات، مثلت الأساس والقاعدة الفلسفية لكل وعوده واقترحاته وإبدالاته. ولقد تحرك البشر في سياق هذا الفكر مدفوعين بفكرة مركزية الإنسان والعقل*****، وما نتج عن حركتهما من فعل تنوير وإضاءة، يمكن الإنسان من أن يقبض على المعنى، إذ المعنى في أدبيات الحداثة حاضر في ذاته، ويحوز على استقلالية خاصة، ولذلك ففي مقدور البشر أن يصلوا إليه عبر منهجيات العلم الموضوعية والرؤية المحايدة.

لقد تمركز الإنسان في هذا الفكر، وغدا هو نفسه مطلقا، وفي استعداد دائم لأن يزيح بقية المطلقات الأخرى، في عملية إزاحة غير منفصلة عن صراعات الغرب مع نفسه ومع العالم. وقد تم تسويق كل ذلك تحت تجاويف خطاب، يدعي الاهتمام بالإنسان ويمنحه مكانة ممتازة في العالم والتاريخ والمعرفة، وتعطي للوعي والإرادة البشرية سلطة صناعة التاريخ وتوجيهه نحو التقدم السعيد؟[38]

حدث ذلك قبل أن تعصف ما بعد الحداثة بعاصفتها، منذرة بموت الإنسان، بعد أن أعلنت الحداثة قبلها موت الإله. وكان من شأن هذا الفكر الذي يوغل في الإزاحات المستمرة والعنيفة، أن هز مركزية الإنسان، وفي هذا المنعطف بالذات تدخل المهتمون بالبيئة والطبيعة، مستغلين هذه الخلخلة للمناداة بضرورة الاعتراف بأن هذا الكون بكل ما فيه، ليس ملكا للإنسان وحده، وإنه من غير الممكن أن يظل سادرا في ادعائه بأنه سيد الكائنات، بل إن هذه الكائنات إنما تقاسمه الحياة، وتشترك معه فيما تقدمه الطبيعة من خير وحرية. ومن ثم فهو مدعو إلى حتمية التخفيف من غلواء نزعة السيطرة عليها.

وفي انعطافات فكرية ومعرفية معاصرة، ذهبت كثير من الدراسات العربية والأجنبية إلى إضاءة هذا التناغم بين الإنسان والعالم المحيط في منظور الدين الإسلامي، فمع أن الإسلام منح للإنسان مكانة خاصة في سلم المخلوقات، بل إن فعل التسخير الإلهي لكل شيء لمصلحة الإنسان، هو مقصد مهم في هذا الدين، لكن المكانة المتميزة للإنسان وتبعية الكائنات الأخرى المسخرة لخدمته******، ليست حقا مكتسبا ينعم به، ويتصرف فيه كما يشاء، بل إن ذلك مرتبط في الدين الإسلامي دائما، بالأخلاقية الروحية والإيمانية لهذا الإنسان وصلاحه.

إن كل ما عدا الله تعالى المتميز بالواحدية المطلقة، مقذوف به في عالم التعددية والكثرة[39]، وأنه يمكن لهذا الكون " أن ينتشر على هيئة التعددية لأنه مبني على محور التوحيد الذي يمسكه ويشد من أزره، وبالتالي فلا خوف عليه من انفراط عقده.[40]

ويتأسس على هذا المنظور الإسلامي أن الكون هو من أمر الله، في حركته وسكونه، وفي أحيائه وجماداته، إنما يسع الجميع، وأن تميز الإنسان عن غيره من الكائنات مرهون باحترامه لها، لا بسحقه إياها.

ولذلك كان الأمير عبد القادر الجزائري يقول إن: " الفيض الإلهي الذي يصل إلى ذبابة صغيرة هو ذاته الذي ينتشر في كل أنحاء الكون."[41] ولعل هذه الانعطافات المعرفية في الإسلام، لو أتيح لها التأسيس الجاد المستنير، أن تكون مدخلا مهما من مداخل الفلسفة الإيكولوجية التي غدت واحدة من أهم الشواغل في الفكر العالمي المعاصر.

تلكم هي الخلفيات التي تتوسم الدراسة أنها تقف وراء ظهور "أدب البيئة" كحقل جديد داخل الأدب العام، جديد؛ لأنه ارتبط بتحولات عميقة عرفها العالم المعاصر، في شتى صعده وميادينه، واتصل بخلفيات ومرجعيات هي نفسها جديدة، أو أعيدت قراءتها بكيفية مختلفة، ولا تعدم هذه الدراسة في الآن نفسه أن تكون هناك سياقات أخرى، وخلفيات متوارية تحكمت في ظهور هذا الأدب.

خاتمة:

إن "أدب البيئة" كما تقدم في هذه الدراسة، هو أدب يحركه وعي إيكولوجي، وتعضده فلسفة

بيئية قائمة بذاتها، لها مدخلاتها ومخرجاتها، ولذلك فهو أدب يختلف نشأة وسيرورة ومقصدية، عن الأدب الذي ارتبط بالطبيعة في الآداب العالمية المختلفة. وهو أدب لم يزل يتلمس طريقه بصعوبة نحو التكون والتشكل، ويسعى كُتابُه إلى تأسيس أسلوبية أو شعرية خاصة به، تُطوع البيئة التي ظلت موضوعا علميا إلى مقتضيات التخييل والتمثيل والمجاز، وترفده في الآن نفسه، بلغة ثانية، واصفة، هي ما يسميه الدارسون الآن بـ : "النقد البيئي" الذي يتولى مهمة النظر في النصوص الإبداعية ذات التوجه البيئي في محاولة قراءتها وتحليلها وتفكيك خطابها.

الهوامش والإحالات:

[1]- محمد همام (2012)، التداخل المعرفي- دراسة في المفهوم- من كتاب: التكامل المعرفي –أثره في التعليم الجامعي وضرورته- تحرير: رائد جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص 60.

[2]- إيان ج. سيمونز (1997)، البيئة والإنسان عبر العصور، تر: السيد حمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رقم: 222، الكويت ،ص5.

[3]- المرجع نفسه، ص 6.

[4]- المرجع نفسه، ص 6.

[5]- - المرجع نفسه، ص 6.

[6]- نوري حمودي القيسي (1984)، الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2،بيروت، ص 241.

[7]- المرجع نفسه، ص 241.

[8]- ابن منظور (د ت) ، لسان العرب، مادة (ب و أ)، دار المعارف، د ط، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، ص 372.

[9]- المصدر نفسه، ص 373.

[10]- طرفة بن العبد (2003)، الديوان، عناية: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط1، بيروت، ص 68.

[11]- نجم العزاوي و عبد الله حكمت النقار، (2007)، إدارة البيئة- نظم ومتطلبات وتطبيقات Iso 14000، دار المسيرة، ط1،عمان (الأردن) ، ص 74.

[12]- المرجع نفسه، ص 94

[13]- محمد صابر (2000)، الإنسان وتلوث البيئة، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، د ط، السعودية، ص 7.

[14]- - لويس ويسلنج، الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان، تر: عبد الرحمن طعمة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ع102، مج 26،2018، ص 368.

[15]- المرجع نفسه، ص 368.

[16]- المرجع نفسه، ص 368.

[17]- المرجع نفسه، ص 368.

[18]- سيزا قاسم وآخرون (1988)، جماليات المكان، عيون المقالات، ط2، الدار البيضاء، ص 3.

[19]- المرجع نفسه، ص 3.

[20]- المرجع نفسه، ص 3.

[21]- بطرس الحلاق وآخرون (2014)، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، تر: نهى أبو سديرة وعماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، ص 122.

[22]- المرجع نفسه، ص 123.

[23]- ملحمة جلجامش (د ت) ، تر: (عن الألمانية) عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عوني عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي سي آي سي،د ط، المملكة المتحدة، ص 49.

[24]- المصدر نفسه، ص 49.

[25]- كارين أرمسترونغ (2008)، تاريخ الأسطورة، تر: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، بيروت، ص 8.

[26]- سعد حسن كموني (1999)، الطلل في النص العربي- دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية- دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، ص 15.

[27]- المرجع نفسه، ص 16.

[28]- المرجع نفسه، ص 16.

[29]- نازك إبراهيم عبد الفتاح (1983) الشعر العبري الحديث، أغراضه وصوره- الدار الجامعية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، ص 121.

[30]- المرجع نفسه، 122.

[**]- جيكوريات: نسبة إلى "جيكور" قرية الشاعر العراقي بدر شاكر السياب.

[31]- محمد غنيمي هلال (د ت) ، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، ص 154.

[***] - كتبت الكاتبة والباحثة الأمريكية " راشيل كارسون "Rachel Carson (1907-1967) كتابا مثيرا عام 1962، سمته " الربيع الصامت"، ومن فصوله " ولا طيور تغني"، و" قرقعة الانهيار". والكتاب عموما صرخة احتجاج قوية ضد أساليب الإنسان في ممارسة الأذى والاعتداء اليوميين على الطبيعة، خاصة فيما يتصل بصناعة واستخدام المبيدات الحشرية، والتي تسميها هي " مبيدات الحياة". ينظر: راشيل كارسون، الربيع الصامت، تر: أحمد مستجير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

[****]- الأحزاب الخضراء: Partis verts، ظاهرة سياسية وثقافية جديدة نسبيا في التاريخ السياسي للشعوب والأمم، بدأ ظهورها في أوروبا وكندا، ثم اتسعت دائرة تأسيسها في أقطار العالم المختلفة. وأصبحت ذات تأثير واضح في القرار السياسي والاقتصادي للدول. وأغلبها ينطلق من قاعدة فلسفية وإيكولوجية تقضي بضرورة فهم الطبيعة وعقد صداقة مع كائناتها واحترام منظوماتها، كما تقضي أيضا بحتمية الديموقراطية التشاركية واحترام التنوع والتعدد الثقافي والعدالة الاجتماعية ورفض العنف وتغليب أساليب الحوار.

وأغلب هذه الأحزاب يسارية- اشتراكية. منها على سبيل المثال:

- الحزب الأخضر الكندي، وهو عضو في فيدارلية أمريكا لأحزاب الخضر، ووقع رفقة 800 حزب مهتم بالبيئة على " بيان الخضر العالمي" وهو بيان وقع عليه 800 ممثل من 72 دولة، وقد تمت مناقشة مضمون هذا البيان في مؤتمر عقد في " كانبيرا" الأسترالية عام 2001.

- حزب الخضر الأستراليين، الذي تأسس عام 1992.

- حزب الخضر الفرنسي، الذي تأسس عام 1984.

- حزب الخضر الألماني الذي تأسس عام 1993.

- حزب الخضر السويدي وتأسس عام 1981.

- حزب الخضر النرويجي، وهو الذي دعا إلى وقف استخراج النفط في النرويج بصورة نهائية بحلول عام 2033، وقد تأسس عام 1988.

وفي العالم العربي تأسست الأحزاب الخضراء الآتية:

- حزب الخضر المصري عام 1990.

- حزب الخضر العراقي عام 2003. وتأسست أحزاب مماثلة في كل من الجزائر وتونس والمغرب ولبنان.

(أحزاب الخضر ar.wikipedia.org/wiki بتاريخ: 2020/06/23 في الساعة 23.50.)

[32]- إيزا برجرأرثر، النقد الثقافي- تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 31.

[33]- إيان ج. سيمونز، البيئة والإنسان عبر العصور، ص 5.

[34]- كاتي كوب، هارولد جولد وايت(2001) ، إبدعات النار- تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذري- تر: فتح الله الشيخ، مراجعة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، رقم 266، الكويت، ص 122.

[35]- هيلموت ج شنايدر، الطبيعة، تر: لميس النقاش، من كتاب الرومانسية، تحرير: مارشال براون، تر: إبراهيم فتحي، ولميس النقاش، مراجعة أبراهيم فتحي، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المركز القومي للترجمة، ط1 ، القاهرة، ع 1730 ،مج 5، 2016، ص 172.

[36]- المرجع نفسه، ص 172.

[37]- المرجع نفسه، ص 172.

[*****]- ينظر بهذا الصدد: عبد الوهاب المسيري (2006)، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1 ،القاهرة،

- عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي (2010)، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، ط3 ، دمشق،

- محمد سبيلا (2009)، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت.

- جياني فاتيمو (1998)، نهاية الحداثة- الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، دراسات فكرية، 37، منشورات وزارة الثقافة، د ط، دمشق.

[38]- عبد الرزاق الدواي (1992)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة، ط 1، بيروت، ص 8.

[******]- كثيرة هي آيات التسخير المتواترة في القرآن الكريم، منها:

" الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار." سورة إبراهيم، الآية: 32.

" وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار." سورة إبراهيم، الآية: 33.

" وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون." سورة النحل، الآية 12.

" ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير." سورة لقمان، الآية 20

[39]- إريك يونس جوفروا (2016)، المستقبل للإسلام الروحاني، تر: هاشم صالح، مراجعة: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، ص 39.

[40]- المرجع نفسه، ص 39

[41]- نقلا عن المرجع نفسه، ص 39.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور، (د ت) .لسان العرب، مادة (ب و أ)، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، د ط، القاهرة.
- إريك يونس جوفروا (2016)، المستقبل للإسلام الروحاني، تر: هاشم صالح، مراجعة: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة.
- إيان ج. سيمونز (1997)، البيئة والإنسان عبر العصور، تر: السيد حمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رقم: 222. الكويت..
- إيزا برجرأرثر (2003) ،النقد الثقافي- تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة.
- بطرس الحلاق وآخرون (2014)، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، تر: نهى أبو سديرة وعماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط1القاهرة.
- سيزا قاسم وآخرون (1988)، جماليات المكان، عيون المقالات، ط2،الدار البيضاء.
- سعد حسن كموني (1999) ، الطلل في النص العربي- دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية- دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت.
- طرفة بن العبد (2003)، الديوان، عناية: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط 1، بيروت.
- عبد الرزاق الدواي (1992)، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة، ط1، بيروت.
- كاتي كوب، هارولد جولد وايت (2001)، إبدعات النار- تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذري- تر: فتح الله الشيخ، مراجعة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، رقم 266، الكويت.
- كارين أرمسترونغ (2008)، تاريخ الأسطورة، تر: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت.
- لويس ويسلنج (2018)، الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان، تر: عبد الرحمن طعمة، مجلة فصول، ع 102، مج 2/26، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد صابر (2000)، الإنسان وتلوث البيئة، الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر، د ط، السعودية.

- محمد غنيمي هلال (د ت) ، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة.
- محمد همام (2012)، التداخل المعرفي- دراسة في المفهوم- من كتاب: التكامل المعرفي –أثره في التعليم الجامعي وضرورته- تحرير: رائد جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فيرجينيا، ط1، الولايات المتحدة
- ملحمة جلجامش، تر: (عن الألمانية) عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عوني عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، د ط، د ت.
- نازك إبراهيم عبد الفتاح (1983) - الشعر العبري الحديث، أغراضه وصوره- الدار الجامعية للطباعة والنشر، د ط، بيروت.
- نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار (2007)، إدارة البيئة- نظم ومتطلبات وتطبيقات Iso 14000، دار المسيرة، ط 1،عمان (الأردن) .
- نوري حمودي القيسي (1984) ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، بيروت.
- هيلموت ج شنايدر (2016)، الطبيعة، تر: لميس النقاش، من كتاب الرومانسية، تحرير: مارشال براون، تر: إبراهيم فتحي، ولميس النقاش، مراجعة أبراهيم فتحي، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، ع1730، مج 5.